جمعية الامم

خطبة الدكتور ولسن

خطب الرئيس ولسن في نيويورك قبل فتح باب الاكتتاب في قرض الحرية الرابع بستة آلاف مليون ريال فقال انهُ لم يعل منبر الخطابة ليروج القرض فان لترويجهِ رجالاً ونساء لاتني همتهم ولا يفتر ولاؤهم وقفوا نفسهم بحماسة على عرضهِ على مواطنيهم في جميع انحاء البلاد وسيكون النجاح التام قرين عملهم لما هو معروف عن حميتهم وحمية البلاد.وهذه الثقة مؤيدة بما يبذلهُ مديرو البنوك من المعونة الصادقة القائمة على الخبرة والروية فانهم يساعدون مساعدة لا تثمن ويرشدون بارائهم ومشورتهم. ثم قال : —

ما جئت لاروج القرض وانما جئت مستهزاً هذه الفرصة لاطلعكم على افكار تظهر لكم الامور التي يدور عليها هذا النزاع العظيم وتجلوها لعيونكم اكثر من قبل فتزداد حماستكم لعمل واجب تأييد الحكومة برجالكم وما عندكم من الوسائل المادية وانبذل وانكار الذات الى اقصى الحدود . فليس في الدنيا رجل او امرأة استوعب معنى هذه الحرب وهو يتردد في بذل كل ما عنده .فمهمتي الليلة هي ان اشرح لكم مرة اخرى معنى هذه الحرب ومغزاها لنا.وحسبي هذا اذكاء لشعوركم وتذكيراً لكم بالواجب عليكم فانهُ كلما انقضى دور من ادوار هذه الحرب تجلى لنا ما نروم ان نبلغ بها.ومتى هتف فينا عامل الرجاء والانتظار اشد هتاف ازداد تأملنا في النتائج التي نبغي عليها والاغراض التي تنال بها وازداد ذلك كلهُ وضوحاً لعيوننا. فان للحرب اغراضاً معينة لم نوجدها نحن ولا نستطيع تغييرها ليست هذه الاغراض من مخترعات رجال السياسة ومجالس الحكومات وليس في طاقة السياسة والمجالس تغييرها وتبديلها لانها نشأت من طبيعة الحرب واحوالها فجهد ما يستطيعهُ السياسة ومجالس الحكومات تنفيذ هذه الاغراض او نبذها خيانة منهم . ويحتمل ان هذه الاغراض لم تكن جلية في اول الامر ولكنها صارت جلية اليوم فقد دامت الحرب اكثر من اربعة اعوام وخاضها العالم كلهُ وحنت مشيئة بني البشر فيها

محل مقاصد الدول . ويحتمل ان الحرب اضرمت بيد فريق من رجال السياسة والدول ولكن ايقادها فوق طاقتهم وفوق طاقة خصومهم لانها صارت حرب شعوب وشملت شعوباً من جميع الاجناس على اختلاف المراتب في القوة والثروة. وقد خصتها لما ثبتت صبغتها وظهر انها ما من امة تستطيع الوقوف امامها مكتوفة اليدين غير مكترثة لنتائجها . وقد تحدثنا الحرب فتحدث في قلوبنا كل ما نعز في الدنيا وكل ما نحيا لاجله وسمعنا صوتها فكان لهُ رنة في قلوبنا وسمعنا ايضاً اصوات اخواننا من جميع اقطار العالم واصغينا الى نداء اخواننا الذين نادونا بعد ما سقطوا قتلى الى قعر البحار فلبينا دعوتهم بهمة عظيمة وشجاعة. وكان الجو حولنا صافياً نقياً فرأينا الامور على حقيقتها وظللنا نراها بعيون شاخصة وعقول لم تتغير من ذلك الحين . وقبلنا الوجوه التي تدور الحرب عليها بحكم الحقائق لا كما عرفها جماعات من الناس هنا او في البلدان الاخرى فلا يمكننا ان نقبل نتيجة لا تطابق تلك الوجوه اولا تحلها . وهذه الوجوه او الامور الجوهرية هي : هل يسمح للسلطة العسكرية في امة او مجموعة من الامم ان تبت مصير شعوب ليس لها من الحق في حكمها سوى الحق المكتسب بالقوة . وهل يجوز للامم القوية ان تعتدي على الامم الضعيفة وتخضعها لمقاصدها ومصالحها . وهل يكون حكم الشعوب في امورها الداخلية بقوة مطلقة غير مسؤولة او بمشيئتها واختيارها . وهل يكون في العالم مقياس عام للحق والامتياز في جميع الشعوب او يفعل القوي ما يشاء ويعذب الضعيف ولا ناصر لهُ . وهل يوطد الحق اتفاقاً بمحالفات تعقد احتياطاً او تكون هنالك جمعية من الامم توجب احترام الحق العام المشترك

هذه وجوه للحرب لم يخترعها رجل واحد ولا جماعة من الناس فهي ملازمة للحرب ويجب ان تبت اما بالاتفاق او التساهل او التوفيق بين المصالح ولكن يجب ان يكون بتها نهائياً مع التسليم التام الصريح بالمبدإ القائل ان مصلحة اضعف الخلق مقدسة كمصلحة اقواهم . وهذا ما نعنيه بالسلم الوطيد الدائم اذا تكلمنا باخلاص وفهم وعلم حقيقي بالمسألة التي نحن فيها . فنحن مفتقرون ان لا سلم يجوز بالمساومة والتساهل مع الدولتين الجرمانيتين لاننا عاملناهما قبل اليوم ورأيناهم

وهما تعاملان حكومات اخرى كانت تحارب في هذه الحرب وشاهدنا ما فعلتا بها في برست لتوفسك وبخارست فاقتنعنا بانهما خاليتان من الشرف وانهما لا تتقيدان العدل ولا ترعيان عهداً ولا تعرفان مبدأ سوى القوة ومصلحتها. فالاتفاق معهما غير مستطاع وقد جعلتاه مستحيلاً والشعب الالماني يعلم الآن اننا لا نقبل عهود الذين جروا الى هذه الحرب فاننا واياهم على طرفي نقيض في معنى الاتفاق والتفاهم

ومن اهم الامور ان نجمع اجماعاً تاماً صريحاً على اجتناب كل صلح يحرز بالتساهل او التنازل عن شيء من المبادىء التي جاهرنا باننا نحارب لاجلها. وهذا سأتكلم منتهى الصراحة عن الامور التي يشملها ما تقدم. فاذا كانت الحكومات التي تحارب المانيا وشعوب تلك الحكومات متفقة على احراز صلح وطيد ثابت كما اعتقد وجب على جميع الذين يجلسون حول مائدة الصلح ان يأتوا اليها وهم مستعدون ان يدفعوا الثمن الوحيد الذي يحرز هذا الصلح به وان يوحدوا الاداة الوحيدة التي تكفل تنفيذ معاهدات الصلح واحترامها. وهذا الثمن هو العدل المجرد عن الهوى في تنفيذ كل مادة من مواد الصلح بقطع النظر عن المصالح التي يعترض ذلك العدل لها وعن اصحاب هذه المصالح. وليس العدل المطلق فقط بل ارتياح الشعوب التي يحكم في امورها ومصيرها ايضاً فالوسيلة التي توصل الى ذلك والتي لا بد منها هي جمعية الامم التي تؤلف بعهود فعالة. ومن دون هذه الوسيلة التي تكفل دوام السلام يظل السلم العام قائماً بعضهُ على وعود قوم لا يحميهم القانون لان المانيا يجب ان تبيض سوادَ صفحتها لا في مجلس الصلح بل بما يعقبهُ وعندي ان تأليف جمعية الامم هذه وتعيين الغرض منها تعييناً صريحاً جلياً يجب ان يكون جزءاً من الصلح نفسهِ بل اهم جزء فيهِ

ولا يمكن تأليف هذه الجمعية الآن فانها اذا الفت الآن كانت عبارة عن محالفة جديدة مقتصرة على الامم المتحدة على عدو مشترك. ولا يحتمل ان تؤلف بعد عقد الصلح اذ من الواجب ضمان السلم والسلم لا يضمن بخاطر يخطر بالبال بعد الصلح. انما السبب الذي يقضي بضمان السلم فهو — بالقلم العريض — وجود فريق من الذين يبرمونهُ اثبت للعالم ان عهودهُ لا يعول عليها فيجب تدبير وسيلة عند

عقد الصلح لازالة هذا العامل . ومن الحماقة ان يترك انضمام مشيئة الحكومتين اللتين رأيناهما تدمران روسيا وتخدعان رومانيا

ولكن هذه الاقوال العمومية لا تكشف اللثام عن المسألة كلها ولا بد من تفاصيل تجعلها اقرب الى الامور العملية منها الى الامور النظرية . فاليكم بعض التفاصيل اتلوها عليكم بثقة اعظم لانها رسمية تعبر عن تأويل الحكومة الاميركية للواجب عليها في مسألة السلم

اولاً ان معنى العدل المجرد عن الهوى هو انا لا نميز بين الذين نريد ان نعدل بينهم والذين لا نريد ان نعاملهم بالعدل. فالعدل يجب ان لا يفرق ولا يميز ولا يحابي ولا يعرف من المقاييس سوى التساوي في الحقوق بين الشعوب المختلفة صاحبة الشأن

ثانياً لا يجوز ان تجعل المصلحة الخاصة لامة او امم اساساً لجزء من الصلح اذا كانت مناقضة لمصلحة الكل

ثالثاً لا يجوز انشاء محالفات او عهود خاصة واتفاقات داخل جمعية الامم العامة

رابعاً لا يجوز ان تعقد اتفاقات ومعاهدات اقتصادية خصوصية مصدرها حب الذات في قلب جمعية الامم ولا يجوز استخدام المقاطعة الاقتصادية في اي شكل كان الا كعقاب اقتصادي باخراج المعاقب من اسواق العالم وهذه سلطة تخول لجمعية الامم للتأديب والسيطرة

خامساً يجب نشر جميع الاتفاقات التي تبرم بين الدول على رؤوس الاشهاد بحذافيرها وقد كانت المحالفات القومية والمعاهدات على اختلاف انواعها والمنافسة الاقتصادية مصدراً كبيراً للخطط والشهوات التي تؤدي الى الحرب فكل صلح لا يقضي على هذه المحالفات والاتفاقات يكون صلحاً خالياً من الاخلاص غير مأمون البقاء . ان الثقة التي اتكلم بها عن شعبنا في هذه الامور لم تنشأ عن تقاليدنا فقط ولا عن مبدإ العمل الدولي الذي جاهرنا باتباعه دائماً فقط فقد قلت ان الولايات المتحدة لا تعقد معاهدات واتفاقات خصوصية مع امم معينة فاني اقول ايضاً ان الولايات المتحدة مستعدة لحمل نصيبها الكامل من تبعة المحافظة على العهود العامة والاتفاقات المشتركة التي يشاد السلم عليها من الآن . فانا لا نزال نتم

وصية وشطي الخالدة باجتناب «المحالفات المؤدية الى المشاكل» وتفهم مضمونها وتلبي الدعوة التي فيها . على ان المشاكل تأتي من محالفات خصوصية محدودة فنحن نقبل الوحب الذي يفرض علينا في العصر الجديد الذي نرجو فيه محالفة عامة تجتنب فيها المشاكل وتطهير جو العالم للتفاهم بين شعوبه والمحافظة على حقوقه المشتركة

وصفت الحالة الدولية كما خلقتها الحرب لا لاني اظن ان زعماء الشعوب العظيمة التي نحن متحدون معها مخالفون لي في الرأي والقصد بل لان الجو يظلم من حين الى حين بما ينتشر فيه من الضباب وما يطير فيه من الريب والظنون التي لا اساس لها وبتشويه الآراء تشويهاً يراد به الشر فيجب من حين الى حين دحض الاقوال التي يقولها غير المسؤولين عن دسائس للتصلح او عن ضعف في العزيمة ووهن في القصد من جانب ولاة الامور ويجب من حين الى حين المجاهرة بأتم الصراحة بما تكرر ذكره من قبل

قلت اني لم اوجد وجود الخلاف في هذه الحرب والمحاور التي تدور عليها ولم يوجدها غيري من رجال الحكومة بل قابلتها بما اوتيت من بعد النظر والتصميم الذي اشتد بزيادة وضوح هذه الامور . وظهر الآن ان هذه الامور مما لا يستطيع الانسان منع وقوعه ولو تعمد ذلك فانا مضطر ان اقاتل لاجلها كما اظهرها الزمان والاحوال لي ولكل العالم . وحماستنا لهذه الامور تزداد كلما ازدادت جلاء والقوات التي تقاتل لاجلها تتآزر وتتألب وتقوى بعلاييها كلما ازدادت هذه الامور وضوحاً امام عيون الشعوب المتحاربة . ومن مميزات هذه الحرب العظمى انها بينما رجال الدول يبحثون عن تعاريف لتعريف مقاصدهم واغراضهم ويظهرون حياتاً بمظهر المتقلب الذي يغير اتجاه نظره كانت عقول الشعوب التي يفرض على اولئك الرجال تعليمها وتارة اذهانها تصقل وتتبين الاغراض التي تحارب لاجلها. فصرف النظر عن الاغراض القومية وحل محلها الغرض العام المشترك للانسانية المستنيرة وصارت آراء الناس ابسط مما كانت واصدق واشد اتحاداً من آراء رجال الاعمال الذين لا يزالون يعتقدون انهم يقامرون لاجل القوة والسطوة ويقامرون بمبالغ عظيمة . لهذا قلت ان الحرب

حرب شعوب وليست حرب ساسة فعلى رجال السياسة ان يتبعوا سير التفكير العام والاَّ سقطوا . وعندي ان هذا هو المدلول عليه في الاجتماعات التي يعقدها عامة الناس الآن ويطلبون في كل واحد منها تقريباً من رجال حكوماتهم ان يخبروهم بالصراحة التامة ما يبغون من هذه الحرب وما هي الشروط التي يظنون انها ستكون شروط تسويتها النهائية . ولم يرتح من ذكرت الى ما قيل لهم حتى الآن جواباً عن سؤالهم لانهم يخشون ان يكون جواب السؤال مفرغاً في عبارات تقسيم الاملاك والبحث في السلطة لا في قالب العدل والرحمة والسلام ورواء ظليل المظلومين من الرجال والنساء والشعوب المستعبدة وهي الامور التي يرون انها جديرة بحرب كهذه غمرت العالم . ويحتمل ان الساسة لم يدركوا هذا التغيير في عالم السياسة والعمل ويحتمل انهم لم يجيبوا مباشرة عن السؤال المطروح عليهم لانهم لم ينتبهوا الى دقة السؤال والجواب المطلوب . اما انا فيسرني ان احاول ترديد الجواب راجياً ان يفهم العالم ان الشغل الشاغل لي هو ارضاء الذين يحاربون في الصفوف وهم دون الناس بالجواب الذي لا يعذر احد على عدم فهمه ما دام يفهم اللغة التي يصاغ هذا الجواب فيها او يستطيع الحصول على من يترجمهُ لهُ الى لغته بالضبط . وعندي ان زعماء الحكومات التي نحن مشتركون معها سيتكلمون بالصراحة التي احاول ان اتكلم بها كلما سنحت لهم فرصة وعسى ان يشعروا انهم احرار في تحطئتي اذا اعتقدوا انني مخطىء في تعيين الامور التي تنشأ عن الحرب او في ما اقول عن الوسائل التي يمكن بها الحصول على الحل الموافق لهذه الامور

ان توحيد القصد بين الدول في هذه الحرب ضروري كتوحيد القيادة في الميدان وهذا التوحيد في المشورة والرأي يكمل النصر التام فالنصر لا يحرز بغير ذلك . وهو الحجوم الصلحي لا يتمم الاَّ متى اظهرت ان كل انتصار تحرزهُ الشعوب المتحدة على المانيا يدني العالم من الامان والطمانينة ويجعل تكرار حرب كهذه مستحيلاً . ان المانيا لا تفتأ تلمح الى الشروط التي تقبلها (لعقد الصلح) فتجد ان العالم لا يروم شروطاً للصلح بل يطلب انتصار العدل انتصاراً نهائياً ويبغي الانصاف في المعاملة — انتهى

نشر المقطم هذه الخطبة في ٢ كتوبر وعلق عليها التعليق التالي قال

جعل الدكتور ولسن موضوع خطبته « جمعية الامم » التي يصبو الى تأليفها من جميع الدول ليكون منها حائل يحول دون وقوع حرب عظيمة اخرى تكلب بها الانسانية نكبات تمرقها عرق المدى . والذي يمعن النظر في هذه الخطبة النفيسة البليغة يجد انهُ لم يقل فيها قولا لم يسبق لهُ ان جاهر بهِ في خطبتهِ السابقة وخطاباتهِ التاريخية الى مجالس الامة الاميركية فقيمتها اذاً في تأييد المبادىء والقواعد التي وضعها وبسط الآراء التي كان اول من نادى بها في معترك الامم فمدل ذلك على ان نبي الحق ونصير العدل والرأفة في هذا العصر يصمم على ان يطبق هذه المبادىء النظرية على سياسة العالم العملية بكل ما اوتي من علم وذكاء وهمة ونشاط وما رزق شعبهُ من قوة وثروة وعلم وحمية

ان الاشتراكية الصحيحة الخالصة من كل شائبة والتي ترفع قدر الانسانية هي الاشتراكية التي نادى بها الدكتور ولسن بقولهِ في خطبتهِ هذه « ان مصلحة اضعف الخلق مقدسة كمصلحة اقواهم »

ورب قائل يقول ان الدكتور ولسن ليس مبتكر لهذا المبدإ فقد جاهر بهِ غيرهُ من قبلهِ . وقد يكون الامر كذلك ولكن ولسن ينوي ان يكون اكبر عامل في تطبيقهِ فعلاً واخراجهِ من حيز القوة الى حيز الفعل واتخاذ الوسائل التي تضمن المحافظة عليهِ وعقاب كل من يجرؤ على نقضهِ . فاذا كانت الاديان المنزلة قد علّمت هذا المبدأ من قديم الزمان فان الذين اشتغلوا بالسياسة في ما مضى من العصور جعلوا ديدنهم التجمل بهذا المبدإ في الظاهر ومحاربتهُ في الباطن فكانوا يسخرونهُ لقضاء الاوطار ثم يعبثون بروحهِ

فالشعوب الصغيرة في جميع اقطار العالم ترفع ايديها مبتهلة الى الله ان يطيل عمر ولسن ويمنحهُ القوة اللازمة لتحقيق امانيهِ . واسم ولسن سيقلل منقوشاً على صفحات قلوب المظلومين من الرجال والنساء والامم المستعبدة التي يسعى لارواء غليلها بجعل نتيجة هذه الحرب لخدمتها ونفعها لا لتقسيم البلدان والبحث في توزيع السلطة والسؤدد

ان الصوت الصاعد من اميركا هذه الايام صوت نورة يقرع اسماع العالم بالحق

ويدل الدول على سبيل الصلاح والبناء. واذا كان في التاريخ عبر وفي علم الاجتماع اوليات فانها هي ما نادى به خلف وشنص. فهو ليس شاعراً ولا هو من السابحين في بحار الخيال ولكنهُ رجل أشبع مروءة ووفاء واستوعب العلم الصحيح المبني على استقراء سليمي العقل والدين من البشر ورأى ان الواجب يقضي عليه بارشاد الناس الى سبيل الحق . ورجل كهذا قد ساهمة عظيمة الى مواطن الحرب والبذل والجود ونبَّت امتهُ دعوتهُ عن طيب خاطر لتؤيد مبدأً من قلوبها لا يذهب كلامهُ صرخة في واد

وقد فصَّل خطتهُ تفصيلاً حسناً في هذه الخطبة وعرَّف العدل تعريفاً ما رأى الناس اسمى منهُ في ما صدر عن عقول البشر فقال « ان معنى العدل المجرد عن الهوى هو ان لا تميز بين الذين تريد ان تعدل فيهم والذين لا تريد ان تعدل فيهم. فالعدل يجب ان لا يفرق ولا يميز ولا يحابي ولا يعرف من المقاييس سوى التساوي في الحقوق بين الشعوب المختلفة »

نقول وقد يظل العالم بعيداً عن بلوغ هذه المرتبة الرفيعة التي وضعها رئيس الاميركيين نصب العيون لان الارتقاء اليها صعب شاق ولكن انشاء هذا المقياس الرفيع سيفيد العالم لانهُ ينشطهُ على التطاول لبلوغهِ . وستفهم اوربا اليوم ان سياسة مترنخ وتيلران وبسمرك لا تثبت على طوارق الحدثان كما ظهر في ما جرى بعد مؤتمر فينا ومعاهدة فرنكفورت لان البناء المتين لا يقوم على الرمل وانما يثبت اذا قام على الصخر

فليرحب العالم بصوت المدافع عن الضعفاء من الافراد والاقوام وليكرم صاحبهُ ويعظم قدرهُ فقد اثر سبيل الانسانية ومسح دموعها فخفق فؤادها املاً وامتلأ صدرها رجاء

ان الرجل الذي ابى دعوة الانسانية في اشد عصورها خطراً عليها تنصت الانسانية الى صوتهِ انصات كل مخلوق الى صوت من يعرف حبهُ وعطفهُ ويدرك تفانيهُ وايثارهُ ويحترم كفاءتهُ ومقدرتهُ